

موت الشباب عظة

المغرب - عدد خاص بذكرى الأربعين -

السنة السادسة - العدد 937 - الأربعاء 6 ربيع الآخر عام 1361 - 29 أبريل سنة 1942

عثمان المطاعي

في كل برهة يعظنا الدهر، وينصحننا بما يفاجئنا به من حوادث، وهي ضروب شتى يهاجمنا بها في استحثات مدهش كى ندرك كنه فصاحتها فتتعظ، يا ما أفصح لغة الدهر! في صمتها بلاغة يفهمها كل حي يذوق مرارة الحياة، ولقد تتقطع الأكباد لبيانها وهي صامته، واللغات الصامته كفيلة بشرح نفسها.

تمثل هذه الحوادث التي كانت السبب في هذا الاجتماع يتعظ من يماشي الأقدار لتأخذ بزمامه الأسعاد إلى مسالك النجاة وهي المعلم لكل جيل يهيمه شأن معاني الحياة، ويختتم في عقيدته ذلك المرور السريع على جسر الأيام الخادعة كل حي، عاملا في مروره ذلك ساعيا إلى المكرمات، غير مكترث بما حوله من خيالات كاذبة - نقطة ما أسودها - ومضى العمر في غير العمل خسران، وليت الإنسان يمضي في خدمة البلاد والعباد، إلا على موت العاملين.

نضحك كثيرا من غير نخيل، وأخيارنا تتسابق إلى الرمس، كأنهم من تقصيرنا أو من خذلان الحياة هاربون - لا غرو إن هربوا - فإن البطل اللبيب يطلب لنفسه النجاة إذا لم يكن في ساعة الوغى من يشجعه على ما هو مقبل عليه من أخطار. وكل الحياة أخطار. أيها السادة، نريد أن تتعظ فكيف تتعظ؟ هل من ذلك أن نبكى ونتحسر ونظهر الحزاع حتى نهمل نظام الحياة، أو تقسو قلوبنا ونجف آماقنا وأن لا نشعر بالألم الساري في أحشائنا أم ما هي الموعظة؟

سبحانك اللهم، فأنت المرشد الحكيم، لقد ألهمتنا لإدراك نتائج الوعظ والإرشاد في عناوين
الفرص الضائعة، ولا عوض لها، وهي التي تمر والناس عنها غافلون، وآثارها تدل عليها، كل
رموزها تشير لأن نكون كسعيد، لأنه شاب لم يقطع غير قليل من مسافة شبابه الغض
حتى أدرك الغاية من الحياة، فأصبح ينظم أكاليل مجده بيده، فكأنه يودع الثقافة الخالدة
في قطره، ونبوغه الذي هلل وكبر في أعماق القلوب، فكيف يسألون عنك وأنت الإبن
البار يا سعيد؟

فأضحت همته تخط المسالك في جبين الدهر بدقة فائقة، ومن حين إلى آخر يلقي بتلك
النظرة السديدة التي تحرق حجب الأمل إلى أمد بعيد، نحو المرام الذي هو المجد المنشود.
فتضاعف العبقرية والحرارة في نفسك يا سعيد.

وهمة الراء لا تعدو بصيرته بقدر همته يسمو إلى الطلب
كل له أرب لكن أخوقصر في الهم ليس له في المجد من أرب

سبق السيف العدل يا بطل الشباب، قرأ الدهر العبقرية في برنامج سعيد في حياته إذ
كانت خطته تسير مع الأيام سير الأفلاك السائرة، وكأن المنون من حساده، فاخطفته
ليناموا مسترحين، وهيهات أن يسترحوا بعد فقدان سعيد.

فلو علم المنون ما يرمي إليه عزم سعيد لأبقاه يعمل على شاكلته لنفع البلاد والعباد. نم
يا فلذة الأكباد، واسترح من نفاق الدنيا يا زهرة الشباب، قد أدت للتاريخ رسالته
الكبرى، فأصبح مشغلا بأداء واجبك أنت إذ كان حتى التاريخ يراعي الذم والعهود، ولقد
كنت وأنت في عالم الأحياء أعز عظة خلفت مساعيك الذهبية، تفوح بأطيب ذكر في
سجل الخلود. وها هو المجد حليفك بالأمس قام اليوم ليبنى لمزاياك الشتى هيكلًا على هامة
الدهر لا يضاهيه هيكل، وسيحج إليه شبان كل عصر، حاملين لواء الثناء رافعين أصواتهم
بأحسن عبارة - الله أكبر - بهذا تتعظون أيها الشبان.